عن الأســـس

المنهجية والتصورية للسلوكية والبنائية والتوليدية

في معالجتها لاكتساب اللغة

✍ إعداد المعلمة

سوسن فيصل محمد درابسة

مديرية تربية لواء الرمثا ـ مدرسة حليمة السعدية الثانوية

للبنات – المملكة العربية السعودية

Sawsan-Faisal@yahoo.com

عن الأسس المنهجية والتصورية للسلوكية والبنائية والتوليدية في معالجتها لاكتساب اللغة

سوسن فيصل محمد درابسة

قسم اللغة العربية – مديرية تربية لواء الرمثا – مدرسة حليمة السعدية الثانوية للبنات – السعودية.

البريد الالكتروني: Sawsan-Faisal@yahoo.com

الملخص :

يقارن البحث الأسس المنهجية والتصورية للسلوكية والبنائية والتوليدية في معالجتها لاكتساب اللغة بخصوص ثلاثة مقاربات وهي: المقاربة السلوكية وآليات التعلم والمقاربة المعرفية البنائية لاكتساب اللغة والمقاربة المعرفية التوليدية. وقد بين البحث من خلال تلك المقاربات التعارض بين التصور العقلاني والتجريباني لطبيعة المعرفة وطريقة اكتسابها في النظريات الحديثة لاكتساب اللغة. وتعد المدرسة السلوكية في علم النفس أبرز ممثل للمقاربة التجريبانية في دراسة السلوك المعرفي، ومن ضمنه ما يصطلح لديها بالسلوك اللفظي، أي اللغة. وتعد اللسانيات التوليدية من أبرز المدافعين عن التصور العقلاني في مقاربة المعرفة الإنسانية، والمعرفة اللغوية بوجه خاص، بينما يصنف علم النفس المعرفي البنائي بين الموقف التجريباني والعقلاني.

الكلمات المفتاحية :السلوكية– اكتساب اللغة– البنائية– التوليدية – المعرفية – نظريات اللغة.

On the Methodological and Conceptual Foundations of Behavioral, Structural and Generative in its Processing of Language Acquisition

Sawsan Faisal Muhammad Darabseh
Department of Arabic Language – Directorate of Education for the Ramtha District – Halima Al-Saadia Secondary School for Girls – Saudi Arabia.
e-mail : Sawsan-Faisal@yahoo.com

Abstract:
The research compares the methodological and conceptual foundations of behavioral, constructivism, and generative in its treatment of language acquisition in three approaches: behavioral approach, learning mechanisms, and constructive cognitive approach to language acquisition and generative cognitive approach. Research through these approaches has demonstrated the contradiction between the rational and empirical perception of the nature of knowledge and the way it is acquired in modern theories of language acquisition. The behavioral school in psychology is the most prominent representative of the experimental approach in the study of cognitive behavior, including what is termed it verbal behavior, that is, language. Generative linguistics is the most prominent advocate of rational perception in the approach to human knowledge, and linguistic knowledge in particular, while structural cognitive psychology classifies between the experimental and rational position

Keywords: behaviorism – language acquisition – constructivism – generative – cognitive – language theories.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

لم تعرف اللغة غنى فكريا في الاهتمام بها مثلما تعرفه الآن، حيث حصل استعلام مكثف ومثمر إلى حد كبير غالبًا في الملكات المعرفية البشرية وطبيعتها والطرق التي تدخل بها في الفعل والتفسير[1]، ومنها اللسانيات التوليدية. وقد جعل تعريف اللغة، بوصفها معرفة ذهنية، الإشكالات اللغوية في قلب الإشكالات المعرفية، كما جعل التقدم المعرفي الذي أحرز في دراسة اللغة اللسانيات، التوليدية على وجه الخصوص، نموذجا لباقي العلوم المعرفية. من هذه الإشكالات تحديد طبيعة المعرفة ومصدرها وتحديد كيفية اكتسابها/تعلمها. وبدل فكرة "الأفكار القبلية"، نادى التجريبانيون بفكرة "الأفكار البسيطة للحواس". وقد أثر هذا التعارض بين التصور العقلاني والتجريباني لطبيعة المعرفة وطريقة اكتسابها في النظريات الحديثة لاكتساب اللغة. وتعد المدرسة السلوكية في علم النفس أبرز ممثل للمقاربة التجريبانية في دراسة السلوك المعرفي، ومن ضمنه ما يصطلح لديها بالسلوك اللفظي، أي اللغة. وتعد اللسانيات التوليدية أبرز المدافعين عن التصور العقلاني في مقاربة المعرفة الإنسانية، والمعرفة اللغوية بوجه خاص، بينما يصنف علم النفس

١ نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان، حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع السورية،ط١، ٢٠٠٩،ص٢٧.

المعرفي البنائي بين الموقف التجريباني والعقلاني. ولذلك سنقدم في بحثنا هذا مجموعة من الخطوات الأساسية نحاول من خلالها تقديم ثلاثة مقاربات اضافة لبعض الاقتراحات والنتائج التعليمية:

أولاً : المقاربة السلوكية وآليات التعلم.

ثانيًا : المقاربة المعرفية البنائية لاكتساب اللغة.

ثالثًا : المقاربة المعرفية التوليدية .

رابعًا : بعض الاقتراحات والنتائج التعليمية على وجه الخصوص.

أهداف البحث

يسعى البحث إلى إجراء تحليل متوازن بين بعض ما تعبر عنه السلوكية والبنائية والتوليدية في معالجتها لاكتساب اللغة والكشف عن الأبعاد والتعارض بين التصور العقلاني والتجريباني لطبيعة المعرفة وطريقة اكتسابها في النظريات الحديثة لاكتساب اللغة.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في قيامه بالمقارنة بين ما تقدمه السلوكية والبنائية والتوليدية في معالجتها لاكتساب اللغة وندافع عن المقاربة التوليدية، مبينين التطورات الهامة التي عرفتها العقلانية في المقاربة التوليدية للمعرفة، على

المستوى الأنطولوجي[1] المرتبط بتحديد "ماهية" ومبادئ المعرفة اللغوية وكيفية اكتسابها، لاسيما أن التصور السلوكي والتصور المعرفي البنائي يفشلان معا في البرهنة على أن للتجربة دورا حاسما أو كبيرا في تشكيل الموروث الأحيائي للطفل.

منهجية البحث

نهج الباحث منهجا وصفيا مرتكزا على جمع المعلومات من خلال تقصي المسألة في المصادر و المراجع والرسائل والدوريات والندوات والمؤتمرات العلمية المتعلقة والقريبة من موضوع هذا البحث؛ وذلك لأن المنهج الوصفي هو الطريقة والأسلوب الذي يمكن من خلاله وصف الظاهرة كما هي في الواقع.

1 الأنطولوجية Ontology أو علم الوجود، أحد مباحث الفلسفة، وهو العلم الذي يدرس الوجود بذاته، الوجود بما هو موجود، مستقلاً عن أشكاله الخاصة،وهي علم ما هو موجود من أنواع، وبنى الموضوعات وطبيعته وحقيقته.أما في الاستعمال الحديث، فكثيرا ما تُقال الأنطولوجيا على معنى نظرية الموضوعات،ولا سيما النظرية التصورية، فتتطابق من هذا الوجه مع الأنطولوجيا القدمية (الميتافيزيقا). وعرف معجم اكفورد الأنطولوجيا بأنها نفسير الوجود المجرد،على أية حال.

المسح الأدبي

من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع جزئيا أو كليا، الدراسات التالية :

-دراسة هاشم،رافد قاسم ، ٢٠١٨، بعنوان: (بياجية والارتقاء المعرفي)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية،جامعة بابل، العراق،العدد ٣٨، نيسان.يهدف البحث الحالي إلى الكشف عن أهم المرتكزات المعرفية والمراحل المختلفة التي يمر بها الطفل أو(المتعلم)في مجال ارتقائه المعرفي والعقلي من أجل الوصول إلى المستوى الذي يؤهله لكي يستطيع من خلاله تلقي العلم والمعرفة وفق مراحله العمرية. لقد أنطلق بياجية منذ المراحل الأولى في محاولة تكوين بينة عامة أو نسق من التحولات الأساسية والتي لها تأثير مباشر في تكوين ذلك النسق العام والتي تحاول من خلاله التحكم في البنية العامة لهذه التحملات في حدود النسق المراد دراسته، أو الاهتمام به. وقد ابتدأ بياجية منذ البدء في تكوين العناصر العامة التي تتحكم في تلك البنية فقد كانت(الكلية)هي أولى المبادئ التي حاول دراستها، ذلك أن تلك البنية تحكمها قوانين(الكل. المعنى)فالمهم في تلك البنية هي العلاقات المنظمة للأجزاء المشتملة عليه.

- دراسة،سبوكار،أحمد وهمة المحمودة، ٢٠١٦، بعنوان: (النظرية السلوكية في تعليم اللغة-دراسة وصف وتحليل السلوكية في الطريقة المباشرة في تعليم اللغة-)Jurnal *Lisanudhad*، جامعة دار السلام كونتور فونوروكو - إندونيسيا،المجلد ٣،العدد٢. تهدف هذه الدراسة لتطبيق مادة التعليم وطريقة

التدريس بسلوك الطالب. كما أنها تقدم العناصر السلوكية في طرق تعليم اللغة حيث ركزت في العناصر السلوكية في الطريقة المباشرة .كما هو معلوم أن هذه الطريقة لها أساليبها وكيفيتها الخاصة في تعليم اللغة خاصة في اللغة العربية حيث تقدم هذه الطريقة الأولية في مهارة الكلام والاقتران المباشر بين الكلمة وما تدل عليه في الحوار والسرد القص منها تعرف أن في هذه الطريقة تشكل علاقة المثير والاستجابة لا تتجزأ بعض فروعها عن الآخر.

– دراسة،مختار درقاوي،٢٠١٥،بعنوان : نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، المجلد٧، العدد٢ تسعى هذه الدراسة إلى إبراز المسار المعرفي لمشهد من مشاهد الفكر اللساني الحديث ،يتعلق الأمر بالنظرية التحويلية التوليدية لتشومسكي، التي أحدثت ثورة بتغييرها لخارطة الفكر في النصف الثاني من القرن الماضي ،فقد قوّضت الدعائم التي قام عليها علم اللغة وأقامت بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرته إلى طبيعة اللغة. فنجد النظرية تقدّم تصورات معرفيه جديدة تمتاز بنقدها للمنهج اللساني التوزيعي الذي تأسس على الافتراض الخارجي والسطحي للّغة، كما نجدها تدأب على التعمّق في المقتضيات النفسية للمتكلّم المبدع،وحدّد تشومسكي بموجبه وجهة نظره في مسألة اكتساب اللغة، التي لا تتأتى إلا وفق مبدأين اثنين هما الكفاءة اللغوية والأداء.

– دراسة،شقروشي،عبد السلام،٢٠١١،بعنوان : اكتساب اللغة(مقاربة توليدية تحولية،مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأدب،الجزائر،العدد

٢٩،ديسمبر هدفت هذه الدراسة لبيان ذاتية اللغة الماهية ووضحت المفهوم اللغوي للذاتية، فهو مفهوم لم يؤصّل له في الدراسات اللغوية الحديثة وبينت مفهوم اللغة عند سكنر وتشومسكي

– دراسة،الربع،بوجلال،٢٠١٩،بعنوان :التوليدية والتحويلية مرحلة التأسيس، مجلة المقري للدراسات اللغوية، المجلد١، العدد٣، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر. وتأتي هذه المقالة لتعرّف بنظرية تشومسكي في مرحلتها التمهيدية الأولى التأسيسية ،والتي زامنها نشر .كتابه البنى التركيبية عام ١٩٥٧ وكانت تهدف إلى تعين القواعد الكامنة وراء بناء الجملة، معتبرة أنَّ القواعد التركيبيَّة ذات كيانٍ مستقل؛ لهذا فضلت أن يصاغ التركيب مستقلا عن الدلالة واعتمدت كليا على الشكل فهمَّشت الدلالة إلى حدٍّ كبيرٍ . ولكنها بهذا حملت فكرة نضجها وامتدادها الذي تداركه تتشومسكي في المرحلة الثانية.

– دراسة، ناصيف، مصطفى١٩٨٣، نظريات التعلم، سلسلة عالم المعرفة، العدد٧٠، تهدف هذه الدراسة التي جاءت لتغطي ثورندايك صاحب نظرية المحاولة والخطأ، والذي الذي أضاف قانون انتقال الأثر والتدريب، وسكينر، صاحب نظرية التعلم الشرطي الإجرائيّ، ونظرية التعليم الذاتيّ المعزز، وفكرة التعليم المبرمَج، والإجراء صاحب نظرية التعلم الشرطي الإجرائيّ، ونظرية التعليم الذاتيّ المعزز، وفكرة التعليم المبرمَج، وتناولت هذه الدراسة نظرية التعلم الشرطيِّ الكلاسيكيِّ لبافلوف، والبنائية التطورية لبياجي، وقد حاولت

هذه الدراسة تقصي ميدان التعلم بطريقة شاملة وموجزة محكمة، كما جاءت لعقد المقاربات بين النظريات المختلفة.

– دراسة، البستنجي، ياسر محمد،٢٠١٩يونيو،بعنوان : قراءة في النظرية التوليدية التحليلية، مجلة دراسات لسانية، جامعة البليدة، مجلد ٣ العدد٢.وهدفت إلى بيان الأهمية التي اضطلعت بها النظرية التوليدية التحويلية في الدرس اللغوي؛إذ كان لها دور مميز في التحليل اللغوي للعبارات والجمل المختلفة. وعرضت نشأة النظرية التوليدية التحولية تشومسكي، كما بينت أهم المرتكزات التي استندت إليها هذه النظرية، وأهمها الجانب العقلاني، باعتبار اللغة ظاهرة عقلانية،فجعلت هذه النظرية المجال الأساسي للدراسة اللغوية وهو وصف المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوي فقط،ثم تناولت هذه الدراسة قضية الفطرة اللغوية واكتساب اللغة.

– وهناك دراسات كثيرة ومتعددة تناولت مثل هذا الموضوع بشكل جزئي ومنها دراسة، العبيدي، منيرة، ديسمبر٢٠١٥،بعنوان : الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد٧،العدد٨،جامعة الوادي الجزائر.

– دراسة، الأعرجي، علي عباس،ابريل، ٢٠١٧،بعنوان : ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي، مجلة آفاق علمية؛ المركز الجامعي لتامنغست ، الجزائر العدد ١٣ .

– دراسة، الأمين محمد محمود،،٢٠١٤،بعنوان : مفهوم اللغة بين سوسير وتشومسكي،بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت عنوان "

الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي "دبي ٧-١٠ مايو .

أولاً : المقاربة السلوكية وآليات التعلم

ثارت النظريات السلوكية على علم النفس التقليدي؛ وذلك برفضها منهج الاستبطان في البحث، معتمدةً على المنهج التجريبي المخبري، وتمثلتْ تلك الثورة في أنها اعتمدت اللغة أداة في تقويم السلوك اللغوي والذي قد ينعكس على السلوك النفسيّ والاجتماعيّ للإنسان، يمثل المدرسة السلوكية مجموعة من الباحثين كالأمريكيين واتسون (**Watson**)(١٨٨٧-١٩٥٨م)، مؤسس مدرسة علم النفس السلوكي وصاحب نظرية صناعة الفوابيا بالمختبر. وسكينر (**Skinner**) (١٩٠٤-١٩٩٠م)، صاحب نظرية التعلم الشرطي الإجرائيّ، ونظرية التعليم الذاتيّ المعزز، وفكرة التعليم المبرمَج، وثورندايك (**Thorndike**)(١٨٧٤-١٩٤٩م)، صاحب نظرية المحاولة والخطأ، والذي الذي أضاف قانون انتقال الأثر والتدريب، والطبيب الفيزيولوجي الروسي بافلوف (**Pavlov**)(١٨٤٩-١٩٦٣) صاحب نظرية التعلم الشرطيِّ الكلاسيكيِّ [١].

وتعتبر النظرية السلوكية من أقدم النظريات التي قدمت "قواعد وقوانين للتعلم البشري استناداً إلى تجارب ميدانية على الحيوانات.حيث تعتبر اللغة سلوكاً

---

١ https://www.alukah.net/web/hanafijawad و كذلك ينظر الأعرجي، علي عباس، ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي، مجلة آفاق علمية؛ المركز الجامعي لتامنغست ، الجزائر العدد الثالث عشر / أبريل٢٠١٧ ،ص١١٣.

اجتماعياً كلامياً كسائر السلوكات الأخرى.يكتسبه الطفل منذ ولادته عن طريق المحاكاة والتقليد والتكرار.وترسخ في ذهنه بنوع من التدريج.قبل أن يتحول إلى عادة لغوية كسائر العادات السلوكية الأخرى المكتسبة وتركز هذه النظرية على الاستجابات التي تخضع للملاحظة والعلاقة بين تلك الاستجابات والأحداث المحيطة بها "[١].

تنبني المقاربة السلوكية للمعرفة على النظرية التجربانية (empiricism) التي تزعم أن جميع أنواع المعرفة مصدرها الحس.[٢] وقد كان لهذا التصور النصيب الأوفر في التأثير على ميدان الأبحاث العلمية. وتأثرت الأبحاث النفسية السلوكية لثورندايك Thorndike،[٣]، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، تأثرا كبيرا بهذا التصور. فقد رفض هذا الباحث دور العمليات العقلية في التعلم وأرجعها كلها إلى مجرد ترابط بين المواقف/المثيرات والاستجابات[٤]. وقد ركزت أبحاثه بالدرجة الأولى على تجاربه على الحيوان،

١ عبد السلام،خالد،اكتساب اللغة لدى الطفل ما قبل المدرسة،دار التنوير، ط١، الجزائر،٢٠١٧،ص١٠٣.

٢ نفرق هنا بين تجريبي وتجريباني. التجريبي له علاقة بالتجربة (experience) العلمية، سواء أكانت نظرية أو غير نظرية؛ أما التجريبانية، فنقصد بها المذهب الفلسفي والعلمي القائم على أن التجربة الحسية هي أساس المعرفة.

٣ انظر مصطفى،ناصيف،نظريات التعلم،دراسة مقارنة، في هذا سلسلة *عالم المعرفة*، عدد ٧٠،اكتوبر ١٩٨٣ص٢٧.

٤ الاستجابات، من وجهة نظر ثورندايك، ردود فعل ظاهرة تحدث كرد فعل لمثير ما. أما في الأبحاث المعاصرة فإن تعبير "الاستجابات" يطلق على ردود الفعل الفسيولوجية (التي تقاس بطريقة مباشرة) والنفسية (التي تقاس بطريقة غير مباشرة).

فقد كانت رسالته لنيل شهادة الدكتوراه معنونة بـ"ذكاء الحيوان"، وقد كانت دراسة تجريبية لعمليات الترابط عند الحيوان [١].

وقد تأثر واتسون بأعمال ثورندايك التجريبية وخاصة فكرته الرئيسة المتمثلة في اعتبار الترابط أساسا للحركة السلوكية. حيث عُرف واتسون بتبنيه لما يعرف بنظرية التكرار والحداثة. ومفاد نظرية التكرار أن الاستجابات التي تتردد أكثر من غيرها هي الاستجابة التي ستعزز بحكم ترددها، وتصبح الاستجابة الطبيعية في الموقف الذي ترد فيه. أما مبدأ الحداثة فينص على أن الاستجابة الأكثر حداثة من بين استجابات المتعلم في موقف ما هي التي تصبح الاستجابة الطبيعية.[٢] ويعتقد واتسون أن التكرار هو الذي يكون الاستجابة الغالبة. وقد أشار واتسون "في دراسته إلى أن اللغة والكلام شيء واحد، واعتبر اللغة هي الكلام المنطوق فعلا، واعتبر التفكير نوع من الكلام الداخلي المنطوق على مستوى الخنجرة فقط. وقد رفض واتسون مبدأ الشعور موضوعا رئيسيا لعلم النفس – وفكر اللاشعور واتجه بدراسته النفسية والمادية موضوعة سلوكية"[٣] .لذلك رفضت النظرية السلوكية عند واتسون استخدام المصطلحات العقلية مثل الذهن (mind) والوعي أو الشعور (consciousness) والوجدان. واهتمت، في المقابل، بدراسة الأفعال

١ مصطفى،ناصيف،نظريات التعلم ،ص٢٢.

٢ نفسه،ص٢٥.

٣ سبوكار،أحمد وهمة المحمودة، النظرية السلوكية في تعليم اللغة،(دراسة وصف وتحليل السلوكلية في الطريقة المباشرة في تعليم اللغة)،Jurnal *Lisanudhad* جامعة دار السلام كونتور فونوروكو - إندونيسيا،المجلد ٣،العدد٢، ٢٠١٦،ص١٢٣.

السلوكية بصورة مباشرة، مركزة في ذلك على المثيرات والاستجابات. ونشير هنا لنظرية بافلوف عن الإشراط التي كان أثرا كبيرا في أعمال واتسون.[١] حيث رأى بافلوف "بأن دراسة تعليم اللغة من الدراسة الواعية المبرمجة لقوانين اللغة ليست شرطا ضروريا لاكتساب أو تعلم لغة معينة"[٢].

وتعد النظرية السلوكية الإجرائية عند سكينر أهم تطور عرفته السلوكية في القرن العشرين، وخصوصا في مجال تعلم السلوك اللفظي (اللغة). وتَعُدُّ هذه النظرية السلوك، بوصفه مجموعة من الاستجابات الناتجة عن مثيرات المحيط الخارجي، موضوعَها الأساسي. وتسمى إجرائية لاهتمامها بالسلوك الإجرائي (operant behavior) الذي يعد سلوكا مؤثرا في المحيط، كما يمكنه أن يغير هذا المحيط بشكل أو بآخر، ويمثل لها عادة بالسلوكات القصدية. فالسلوك الإجرائي يحدد بأثره في المحيط لا بالمثيرات التي تحدثه.[٣] أي أن الإشراط الإجرائي هو "عملية التعلم التي تصبح فيها الاستجابة أكثر احتمالا، أو أكثر حدوثا وتكرارا .ويستعمل سكنر المصطلح لوصف مجموعة من الاستجابات أو الأفعال التي يتألف منها العمل « إجرائي» الذي يقوم به الكائن الحي" [٤].وتعدّ نظرية سكنر حول السلوك جُزءًا من نظريته للتعلم عن طريق المثير شرطي، ويؤكد قانون الأثر أهمية تعْزيز إجابات المتعلم؛وذلك

١ مؤدى نظرية الإشراط البافلوفية أن الكائنات الحية لها ردود فعل طبيعية غير مشروطة عن المثيرات الفعالة المؤذية إلى استجابات غير متعلمة.
٢ سبوكار،أحمد وهمة المحمودة، النظرية السلوكية في تعليم اللغة،ص١٢٣.
٣ انظر *عالم المعرفة*، عدد ٧٠، صص. ١٢٧-١٩٨.
٤ سبوكار،أحمد وهمة المحمودة، النظرية السلوكية في تعليم اللغة،ص١٢٩.

بمكافأته على الإجابات المتعددة، وتصحيح الأخطاء. وتتكون نظرية سكينر من ثلاثة أجزاء رئيسة البيئة وتعلُّم سلوك الإجرائي والتعزيز[١].

وقد حاول سكينر (١٩٥٧) رصد السلوك، معتبرا وجود اللغة ناتجا عن مجموعة من العادات السلوكية، التي ترتبط فيها أشكالٌ لغوية معيّنة باستجابة معينة، على أساس المثير والاستجابة التي تتعلم مع مرور الزمن .[٢] والآلية التي تتحكم في التعلم هي نفسها التي تتحكم في أنواع السلوك التي يتعلمها الحيوان. فالفئران، مثلا، يمكن تدريبها للقيام بمهام معقدة وذلك من خلال مبدأين: أولا، تقسيم المهام إلى خطوات؛ وثانيا، ينبغي تعزيز التعليمات الموجهة للحيوان بالمكافأة أو بالعقاب في كل خطوة.[٣] وكان تسمى هذه الآلية للتعلم بالإشراط الإجرائي عند سكينر (١٩٥٧). يقول سكينر في هذا الإطار "العمليات والعلائق الأساسية التي تمنح السلوك اللفظي خصائصه الخاصة تعد الآن إلى حد ما مفهومة بشكل جيد. ومعظم العمل التجريبي المسؤول عن هذا التقدم تم تطبيقه على أنواع (species) أخرى، لكن النتائج أبانت بشكل مثير أنها مستقلة عن التقييدات التي يفرضها النوع. وأبانت الأبحاث الحديثة أنه يمكن توسيع المناهج [المعتمدة] على السلوك

١ الأعرجي، علي عباس، ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي،ص١١٦.

٢ البستنجي، ياسر محمد، قراءة في النظرية التوليدية التحليلية، مجلة دراسات لسانية، جامعة البليدة–الجزائر، مجلد ٣ العدد٢، يونيو٢٠١٩،ص١٤.

٣ يحتل مفهوم التعزيز مكانة هامة في السلوك اللفظي عند السلوكيين.فمثلا، الاستجابات اللفظية مثل "نعم" و"آها" تستخدم عادة لتعزيز بعض فئات الاستجابة اللفظية (مثل أسماء الجمع أو لتعزيز المحتوى الهام في الحديث).فالتعزيز يساهم في تعلم اللغة إلا أن هذا لا يعني أن اللغة تتعلم عن طريق التعزيز فقط.

الإنساني دون تغييرات هامة."[1] وبناء على هذا، اعتبر سكينر أن تعلم اللغة الإنسانية يمكن أن ينظر إليه من خلال العلاقة العامة: مثير–استجابة، التي تحكم تعلم أي سلوك، حيواني أو إنساني. فتعيين "معنى" تفاحة مثلا، يتم من خلال الاستجابة المعتادة للسامع للفظ–الصوت (المثير) الذي يسمع على نحو متكرر. لقد كان ينظر إلى تعلم سلوك معين، كاللغة مثلا، في إطار هذه العلاقة الآلية من منظور ترابطي، بمعنى أن تعلم اللغة يتم عبر سلسلة يقوم فيها المتكلم بربط حلقة بأخرى، بواسطة الاستحسان أو التعزيز الملائم.[2] فاللغة شيء يفعله الطفل ولا يملكه، إنها سلوك يتعلم وفاقا لنفس المبادئ المستخدمة في تدريب الحيوانات.[3] رأى سكينر "بأن تعلم اللغة هو المسألة المثيرية والاستجابية والتكرارية والثوابية .وكل المظاهر للطفل هو الجنس من المثير والاستجابة،وقواهما «المثير والاستجابة» بالتكرار .وستسير عملية

١ انظر سكينر (١٩٥٧: ٣).

٢ لقد رحبت أوساط فكرية عديدة، في السياسة وعلم الاجتماع وعلم النفس، بالأفكار السلوكية التي أنتجت تقنيات متقدمة للتحكم في الجماعات وتعليمها وتدجينها. يقول شومسكي (١٩٨٨: ١–٥٥) في تفسير شيوع الأفكار السلوكية "الذين يحكمون بالعنف ينزعون إلى أن يكونوا 'سلوكيين' في تصوراتهم. ما يفكر فيه الناس غير هام، ما يهم هم ما يعملون. فعليهم الخضوع، وهذا الخضوع تؤمنه القوة."

٣ في أوائل العهد بالنظرية الإجرائية كان الاهتمام موجها في الدرجة الأولى إلى قضايا البحث المختبري الخاص بدراسة الحيوان. أما في السنوات الأخيرة فقد اتجه اهتمام الكثير من الباحثين إلى تطبيق مبادئ السلوك على المشكلات الإنسانية الهامة.

التعلم سيرا حسنا إذ كرّرت الاستجابة تمام التكرار، المثير والاستجابة وهكذا، فإن تعلم اللغة هو المثير والاستجابة والتكرار ثم التقوية." [١]

ويُسند سكنر مكانة هامة للوسط الاجتماعي في التعلم اللغوي عن طريق العلاقة المباشرة بين: المثير والاستجابة. فالسلوك اللفظي عند الطفل يمكن أن يخضع لعملية تدعيم اجتماعي. فعندما يتعلم الطفل بعض الأصوات التي يسمعها في وسطه الاجتماعي، مثل ماء، ويصاحب التشجيعُ استجابته لهذه الأصوات، فإن ذلك يقوي تعلم مثل هذه الكلمات لديه. وفي مقابل ذلك، فإن الأصوات/الكلمات التي لا تحظى بالمكافأة تُهمَل. ويمكن أن ينسحب هذا التفسير على الظواهر اللغوية كلها[٢].

فاعتبرت النظرية السلوكية أن" لغة الهدف هي اللغة المعقدة والوسيلة في تعليم اللغة، لأن استخدام اللغة الأولى عند تعليم اللغة من المهيّج ما لابد تجنبه . فإن تعليم اللغة عن طريق القياس(المضاهاة)أفضل من التحليل "[٣]من هنا تنبني هذه المقاربة السلوكية على النظرة التقليدية للعلم التي تقضي بأن البحث العلمي ينبغي أن يكون موضوعيا، وشرط الموضوعية أن لا يتعامل العالِم إلا مع الوقائع التجريبية التي يمكنه قياسها. ولذلك تبنت السلوكية، في رصدها للسلوك اللغوي، التحليل الوظيفي الذي يهتم بوظائف السلوك اللغوي في

---

١ سبوكار،أحمد وهمة المحمودة، النظرية السلوكية في تعليم اللغة،(دراسة وصف وتحليل السلوكية في الطريقة المباشرة في تعليم اللغة)Jurnal *Lisanudhad*، جامعة دار السلام كونتور فونوروكو - إندونيسيا،المجلد ٣،العدد٢، ٢٠١٦،ص١١٩.

٢ الأعرجي، علي عباس، ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي،ص١٢٢.

٣ نفسه،ص١٢٢.

الظروف المختلفة لاستعماله وبتحديد الشروط التي تستعمل في نطاقها الاستجابات اللغوية وما يترتب عنها من نتائج [١].

قدم تشومسكي (١٩٥٩) نقدا قويا لأطروحة سكينر السلوكية عن اللغة، التي يعدها أحد أشكال التجريبانية. من هذه الانتقادات أن سكينر يذهب إلى أن هدفَه من كتابه عن السلوك اللفظي تقديمُ طريقة للتنبؤ بالسلوك اللفظي عن طريق الملاحظة والتحكم في المحيط الفزيائي للمتكلم، غير أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه من جهتين. أولا، التنبؤ بسلوك نظام عضوي معقد يقتضي، إلى جانب معلومات عن المثيرات الخارجية، معرفة بالبنية الداخلية للنظام العضوي. ومعنى هذا أن سكينر يدرس موضوعا لا يعرفه، ويجعل مساهمة المتكلم بدون جدوى. وقد دفع هذا تشومسكي إلى اعتبار السلوكية بدون محتوى تجريبي، لأنها لم تستطع أن تحدد موضوع دراستها، فهي مجال بحث بدون موضوع، رغم تطور أدواتها وإجراءاتها التجريبية. لذلك، فهي علم فارغ، لأن تعريف العلم يكون بموضوعه بالدرجة الأولى لا بإجراءاته.[٢]

ثانيا، التنبؤ بالسلوك اللغوي بناء على مثيرات المحيط فقط غير ممكن. فإذا كانت أسماء الأعلام، حسب زعم سكينر، تَنتُج تحت مراقبة مثير معين، شخص أو موضوع معين، فإن المتكلم عندما يستعمل اسم العلم ورززات أو

١ العتابي،أحمد كاظم،رؤية في المنهج التحويلي،مجلة كلية التربية،جامعة أسيوط، مصر،المجلد١،العدد٦، ٢٠٠٩،ص٣٧.

٢ انظر شومسكي (١٩٧٧: ٤٤).

ابن خلدون فإنه لا يستعملهما تحت تأثير إثارة الموضوعين اللذين يوافقانهما، ولا يستحضر بالضرورة الموضوعين الموافقين.

ويلاحظ تشومسكي أن مقاربة سكينر القائمة على النظر إلى السلوك/الإجراء اللفظي باعتباره استجابة لصورة معينة مرتبطة وظيفيا بسلوك معين، لا تتضمن أي منهجية لتحديد الوحدات المكونة للسلوك اللغوي. ويرى كذلك أن الزعم بأن التعزيز (القوي) يلعب دورا هاما في التعلم اللغوي لا يوجد عليه برهان تجريبي، كما أن التعزيز مفهوم فارغ لأنه لا يملك مضمونا محددا. إن التعزيز يعمل فقط كغطاء اصطلاحي لأي عامل مرتبط بتعلم السلوك اللفظي، يتم اكتشافه في الأول. ولذا بيّن تشومسكي أنّ مفهومي المثير والاستجابة هما سُلوكي محدد مفهومانِ أجوفان؛ فنحنُ لا نستعمل اللغة استجابةً لمثيرٍ وواضِحٍ. وإنما ما يُتعلّم بالفعل هو قواعد تحويلية تُعطي القدرة للمتحدث على توليد أنواع يصعب حصرها من الجمل الجديدة ذات الطابع النحوي؛ أي أن ما يتُعَلّمُ ليس سلسلة من الكلمات في .حدِّ ذاتها، بلْ يتعلمها الفرد كمفاهيم تمثل فئةً بعينها تنتمي إليها هذه المفاهيم[1].

من المشاكل التي تصطدم بها مقاربة سكينر أنها لا تستطيع أن تفسر لماذا يستطيع أطفال مختلفون أن يكتسبوا نفس النحو، وعلى نحو سريع، كما لا تستطيع أن تفسر الطابع الإبداعي للغة المتمثل في أن المتكلم يفهم وينتج جملا جديدة في أوضاع اجتماعية مختلفة ومتنوعة وجديدة لم يسبق له أن جربها قبل. التفسير الطبيعي هو أن الكائنات البشرية مصممة داخليا لتقوم

١ الأعرجي، علي عباس، ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي،ص١١١-١١٢.

بذلك. ويصل تشومسكي (١٩٥٩-١٩٦٧: ١٤٢) في مراجعته الطويلة لكتاب سكينر إلى خلاصة مفادها "أن الموقف العام [للسلوكية] أسطوري، وأن انتشاره وقبوله لا يرجع إلى دعم تجريبي أو إلى استدلال مقنع أو إلى غياب بديل معقول."[١]

إن الخلاف الأساسي للتوليدية مع السلوكية، إلى جانب كونه منهجيا، فإنه خلاف مرتبط بتصور طبيعة الموضوع. فالسلوكية ترفض وجود طبيعة خاصة وفردية تميز الكائن البشري، وتختزل هذا الكائن في سلوكات خارجية لا تختلف عن أي سلوك حيواني. ولذلك نظرت إلى اللغة بوصفها معطى خارجيا عن الإنسان. وهذه النظرة، تناقض المقاربة العلمية الطبيعية (scientific naturalism) الداخلية التي تتبناها التوليدية في نظرتها إلى اللغة والإنسان والكون. اللغة من المنظور الطبيعي ملكة معرفية داخلية ذات أساس أحيائي، يملكها الإنسان بحكم تجهيزه الوراثي، وهذا التجهيز هو الذي يحدد كيفية ومراحل نموها، ودور التجربة في هذه العملية محدود جدا. لهذا يدرك تشومسكي أن اللغة"حالة عقلية، ونسق من القواعد مبرمج في

١ والسؤال الذي يطرح في هذا الصدد هو كيف يمكن تفسير الانتشار الواسع للفكر التجريباني رغم أن استدلاله غير مقنع. يرجع شومسكي (١٩٧٧) ذلك إلى أسباب إيديولوجية. فتارخيا، تحالفت التجريبانية مع الإمبريالية الإنجليزية، كما أن التجريبانية لا تقدم إطارا لوضع تعريف خاص بالإنسان. الإنسان يعرف بخصائصه العرضية، مثل اللون. لذلك وفرت التجريبانية إطارا فكريا لتبرير العنصرية، كما قدمت إجراءاتها أدوات منهجية عملية للتحكم والمراقبة الاجتماعيين ولصناعة الرأي. فالإنسان لا طبيعة له، إنه مجرد سلوك، وهذا السلوك يمكن تكييفه من خلال التحكم في المثيرات وتعزيز هذه المثيرات المسؤولة عن التعلم .

الدماغ،يُنتج وبشكل آلي عددا لانهائيا من الجمل .هذا الجهاز يولد مع الطفل، وينمو بنموه"[١].ولذلك امتاز تشومسكي بوصفه اللغة بأنها إبداعية متجددة لا نهائية [٢] . فهو يرى أن اللغة ميزة من ميزات الجنس البشري وأن تعلمها لا يرتبط بذكاء الإنسان ومما جعل تشومسكي يزداد تمسكا بهذه الفكرة وتوكيدا لها في نظريته، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام وفي انتقاله إلى تعلم اللغة " [٣].يتبين أن موضوع نظرية تشومسكي يرتكز على ثلاثة أمور وهي: تحديد طبيعة المعرفة اللغوية عند الإنسان وطريقة اكتسابها وكيفية استخدامها[٤].

١ الأمين محمد محمود،مفهوم اللغة بين سوسير وتشومسكي،بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت عنوان " الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي "دبي ٧-١٠ مايو ٢٠١٤،ص٩.

٢ نفسه،ص١٠وكذلك ينظر، نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل،ص٣٤.

(٣) الربع،بوجلال، التوليدية والتحويلية مرحلة التأسيس، مجلة المقري للدراسات اللغوية، المجلد١، العدد٣، ، المسيلة، الجزائر، ١٠١٩، ص٢٩٠.

(٤)العبيدي، منيرة، الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد٧،العدد٨،جامعة الوادي الجزائر، ديسمبر٢٠١٥ص٩٥.

ثانيًا : المقاربة المعرفية البنائية لاكتساب اللغة

يعود الفضل إلى بياجي "في ابتكار المفاهيم التالية :التمثل، التلاؤم، والحفظ، مرحلة النمو، والتوازن، وأقامه التوازن لقد وكان اهتمامه الأساسي بعد الجمع بين علم النفس النمو وعلم النفس التربوي بمحاولة شرح عملية الاكتساب (العقلي) وفق النمو العقلي، فلقد كانت(البنية العقلية) و(الوظائف العقلية) هي أهم المرتكزات الأساسية التي بنى عليها بياجي نظريته في النمو المعرفي، من حيث أن الوظائف العقلية هي ثابتة كونها تولد مع الإنسان أو هي موروثة، في حين أن البنية العقلية هي التي تتغير كونها تكون نتيجة تفاعل الإنسان مع البيئة" [١]. وقد أضاف بياجي إلى التفكير وظيفتين أساسيتين لا تتغير مع تقدم العمر وهما: التنظيم والتكيف[٢] . وحسب بياجي التعلم هو "شكل من أشكال التكيف من حيث هو توازن بين استيعاب الوقائع ضمن نشاط الذات وتلاؤم خطاطات استيعاب مع الوقائع والمعطيات التجريبية باستمرار.فالتعلم هو سيرورة استيعاب الوقائع ذهنيا والتلاؤم معها في نفس الوقت.كما أنه وحسب النظرية البنائية مادام الذكاء العملي الإجرائي يسبق عند الطفل الذكاء الصوري ، فإنه يمكن بيداغوجيا[٣] بناء المفاهيم والعلاقات

١ هاشم،رافد قاسم، بياجية والارتقاء المعرفي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية، جامعة بابل،العدد ٣٨،نيسان ٢٠١٨،ص١١١-١١٢.

٢ فمن حيث التنظيم فهي نزعة الفرد إلى ترتيب العمليات العقلية بالإضافة إلى تنظيم تلك العمليات في أنظمة كلية متناسقة، أما التكيف فيمثل نزعة الفرد إلى التلاؤم مع البيئة، والتكيف هو تغيرات عضوية تحدث استجابة لمطالب البيئة.

٣ البيداغوجيا : هي علم التربية سواء أكانت جسدية، أم عقلية أم أخلاقية،وتستفيد من مصطلحات حقول معرفية أخرى تهتم بالشكل،وهي ذات بعد نظري أو هي نظرية =

والتصورات والمعلومات ومنطق القضايا إلا بعد تقعيد هذه البناءات على أسس الذكاء الإجرائي.

ويعد الموقف النفسي المعرفي البنائي (constructivist) لبياجي موقفا مضادا للموقف السلوكي التجريباني. ويذهب بياجي (١٩٧٩: ٥٤) أن نقده للتجريبانية لا يكمن في إنكار دور التجربة "ولكن الدراسة «التجريبانية» لتَكَوُّن المعارف تُظهر للتو عدم كفاية التأويل «التجريباني» للتجربة. فليست هناك معرفة نحصل عليها بالإدراكات وحدها، لأن هذه الأخيرة توجهها دائما وتؤطرها خطاطات العمل [...] فالرابط الأساسي المكون لكل معرفة ليس إذن مجرد «ترابط» بين الموضوعات، لأن هذا المفهوم يهمل قدر النشاط الذي يعود إلى الفرد، ولكنه [أي الرابط] «تَمَثُّل» الموضوعات من قِبَل الخطاطات التي يملكها هذا الفرد."[١] وهذا المنظور لتكوُّن المعرفة غالبا ما يصنف في الوسط بين نظرية الذهن الفارغ التي تعود إلى التجريبانيين التقليديين ونظرية الصور الإدراكية القبلية المفترضة عند كانت،[٢] التي تبناها ما يعرفون بالفطريين الجدد، وعلى رأسهم

=تطبيقية للتربية المتبعة للتدريس والتي يستخدمها ويختارها المعلم لتعليم طلابه.وهدفها تحقيق تراكم معرفي، أي تجميع الحقائق حول المناهج والتقنيات والظواهر التربوية وتنويع وطرق أساليب التدريس(ولمزيد انظر الصدوقي،محمد،المفيد في التربية،مطبعة انفو برانت،فاس-المغرب،ط٢، ٢٠٠٦).

١ انظر Piaget, J (١٩٦٧: ٥٧).

٢ يرى شومسكي (١٩٧٧: ١٠٠) أن المقاربة "التفاعلية البنائية" للمعرفة لدى بياجي ليست بعيدة عن جوهر الفكر التجريباني رغم تصريح بياجي بابتعاده عن هذا الفكر. فبياجي يرى أن المعارف الجديدة تبنى بتفاعل مع المحيط، لكنه يترك القضايا الأساسية=

تشومسكي.[١] والمحور العام لنظرية بياجي يتمثل في فكرة التوازن، التي يصوغها في إطار الافتراض الموجه، البسيط والعادي، الذي يقول :"الحياة أساسا تنظيم ذاتي"،[٢] بمعنى أن الأجهزة العضوية لها قدرة داخلية على تنظيم ذاتها بذاتها، وليست المعرفة سوى مجال فرعي للمجال العام للتنظيم الذاتي. وتعد آلية التكيف أساسية ضبط التفاعل مع المحيط. والكائنات التي تتمتع بمرونة كبيرة التكيف مع محيطها الخارجي تنجح في ضمان التوازن المطلوب للحفاظ على نفسها. ويعد "تخصيص أعضاء هذا التنظيم" وتحديد الطريقة التي تنمو بها المعرفة وتتطور الهدف الجوهري لبرنامج البحث المعرفي البنائي.[٣] ويشير بياجي إلى أن ما يميز التنظيمات العضوية هو تفاعلها أو "تبادلاتها" مع المحيط الخارجي الذي يعد مكونا أساسيا في البناء المعرفي. ويلخص بياجي أطروحته قائلا: "تظهر العمليات المعرفية، إذن، بشكل متزامن بوصفها نتيجة للتنظيم الذاتي العضوي الذي تعكس آلياته الأساسية وبوصفها الأعضاء الأكثر اختلافا لهذا التنظيم داخل التفاعلات مع الخارج، على نحو ينتهي بالإنسان إلى توسيع هذه التفاعلات مع العالم بأكمله."[٤] تختلف هذه

= جانبا، مثل "*كيف* نبني المعارف، ولماذا *هذه* وليست تلك؟" وعندما يرفض بياجي الجواب بأن ذلك راجع إلى وجود بنية وراثية فطرية تحدد عملية النمو، فإنه يسقط في التجريبانية.

١ انظر عالم المعرفة، عدد ٧٠، صص. ٣٣٣-٣٣٦.

٢ نفسه،ص ٣٣٤.

٣ العضو هنا بالمعنى الأحيائي.

٣١ انظر Piaget, J (١٩٧٩: ٤٩).

٤ انظر Piaget, J (١٩٧٩: ٥١).

الأطروحة النفسية المعرفية اختلافا أساسيا عن الأطروحة السلوكية في تسليمها بأن العمليات المعرفية لها أساس مادي عضوي داخلي هو المسؤول عن تحديد التنظيم، وهي بهذا تلتقي مع الطرح المعرفي التوليدي الداخلي، لكنها تختلف مع هذا الطرح في الدور المتعاظم الممنوح للتجربة الخارجية التي لها مكانة هامة في البناء الداخلي للمعرفة. وتحدد النظرية المعرفية البنائية مجموعة من العمليات التي تسمح بتفاعل المحيط مع النظام العضوي، أهمها التمثل والملاءمة. يعد التمثل جزءا من عملية التكيف، يتم بموجبه دمج المحيط في النظام العضوي. تقول دونالدسون (١٩٨٣): "... إن أحد أوجه التكيف البيولوجي هو المجهود المبذول في التعامل مع الوسط وجعله ينصهر ضمن البنيات القائمة الخاصة بالجهاز العضوي-وذلك عبر «دمجه» بمعنى من المعاني. ويحدث هذا الدمج، بالمعنى الحرفي للكلمة، عندما يهضم الحيوان طعامه مثلا."[١] وإذا كان التمثل عملية تتجه من المحيط/المعطى الخارجي نحو الجهاز العضوي، فإن الملاءمة هي العملية المقابلة التي تتجه من النظام العضوي نحو المحيط، إنها "المجهود الرامي إلى مطابقة سلوك الجهاز العضوي مع الوسط."[٢] تسمح عملية التكيف، باعتمادها على عمليتي التمثل والملاءمة، بالتفاعل مع المحيط، وتسمح، عبر هذا التفاعل، بتحويل/نقل بنيات جديدة من المحيط الخارجي إلى داخل النظام العضوي. البنيات الجديدة المنقولة، يسميها بياجي "ظاهرة-نسخة" (phenocopy)، وتعد هذه النسخة نتيجة لتحول ظاهرة

١ النص مأخوذ من مجلة بيت الحكمة، العدد ٢، يوليوز ١٩٨٦، ص. ٧.
٢ نفسه،ص٨

خارجية إلى نمط وراثي وذلك من خلال عملية تمثل واستبدال.وقد بينت الأبحاث المتطور لعلم الأحياء الجزيئي (molecular biology) أن مثل هذا التحول غير ممكن، "فلا يوجد تنظيم إلا على البنيات وبواسطة بنيات موجودة للقيام بالتنظيم."[١] وهذا يعني أن آليات التنظيم داخلية محددة بالقيود التي يفرضها البرنامج الوراثي على النظام العضوي.

وعلى الرغم من اتفاق بياجي مع شومسكي في النظر إلى اللغة بوصفها نتيجة للذكاء أو العقل لا نتيجة للتعلم بالمعنى السلوكي، إلا أن بياجي لا يقبل الافتراض الفطري القائل بوجود ملكة لغوية ثابتة، ولكنها "تشكل النتيجة «الضرورية» للبناءات الخاصة بالذكاء الحسي-الحركي السابقة عن التجربة والناتجة عن التنظيمات الذاتية العضوية والسلوكية التي تحدد هذا التكوين المتتابع."[٢] فاللغة بناء معرفي لاحق ينتج عن عملية التنظيم الذاتي وليست نموا لملكة محددة احيائيا في استقلال عن عملية التنظيم الذاتي التي تلعب فيها البيئة المحيطة دورا في التطور والبناء المعرفيين. إن عملية اكتساب اللغة عند الطفل، إذن، لا تستند إلى قدرات لغوية خاصة، ولكنها تقوم على الذكاء الحسي-الحركي. وما يميز هذا الذكاء هو تطور البنيات الرياضية المنطقية داخله. يقول بياجي: "إن الحجة الحاسمة في وجه الموقف الذي يريد أن يجعل البنيات الرياضية المنطقية مشتقة من الأشكال اللغوية وحدها هي أن البنيات الرياضية المنطقية-خلال التطور الفكري لأي فرد- توجد قبل ظهور

١ هاشم،رافد قاسم، بياجية والارتقاء المعرفي،ص١٢٢.
٢ انظر Piaget, J (١٩٧٩: ٦١).

اللغة. فاللغة تظهر في منتصف السنة الثانية بعد الولادة. ولكننا [نلاحظ] قبل ذلك، وفي حدود نهاية السنة الأولى، أو في بداية السنة الثانية، أن الذكاء الحسي الحركي يصبح ذكاء عمليا يتمتع بمنطق خاص به، بمنطق فِعْل."[١] ويستدل بياجي على هذا قائلا: "ويؤكد هذا الوضع كوننا نجد لدى الأطفال الصم البكم فكرا دون لغة، وبنيات منطقية دون لغة."[٢] بالطبع هذه الحجة خاطئة، لأن الأطفال الصم البكم يملكون لغة هي لغة الإشارة التي لها جميع خصائص لغة الأطفال الناطقين، فاللغتان تمتلكان نفس البنية التركيبية.. الفرق بين لغة الإشارة واللغة المنطوقة ليس في أن الأولى رمزية سميائية والثانية ملفوظة، ولكن الفرق يكمن في طبيعة الوجيهة الحسية الحركية. فإذا كان جهاز النطق هو الوجيهة الحسية الحركية في اللغة المنطوقة، فإنه في لغة الإشارة هو حركات اليدين والوجه. وتشترك اللغتان معا في نفس النظام الحاسوبي المسؤول عن اشتقاق البنية التركيبية، كما تشتركان في وجيهة القصد والتصور. لقد لاحظ تشومسكي، في نقاشه مع بياجي، غياب اقتراح عميق يبين أن "بناءات الذكاء الحسي الحركي" يمكنها أن تساهم في تفسير الإشكالات اللغوية الجوهرية.[٣] فليس هناك تفسير مقنع يفسر أن الخصائص البنيوية للغة، بوصفها عضوا ذهنيا، تنتج عن آليات التنظيم الذاتي ولا تنتج عن خصائصِ الجهاز العضوي البنيويةِ الخاصة بالنوع البشري والمحددة وراثيا، هذه

١ انظر مجلة بيت الحكمة، العدد ٢، يوليوز ١٩٨٦، ص. ٢٩. والنص مترجم عن كتاب *Mes idées*، دونويل غوتيي، باريس ١٩٧٧.
٢ نفسه، ص. ٣٢.
٣ انظر شومسكي (١٩٧٩ :١٩).

الخصائص التي يصطلح عليها بالنحو الكلي[1]. ويُرجع شومسكي هذا الرفض الشائع لمقاربة اللغة والمعرفة، عموما، مقاربة علمية طبيعية إلى بعض الخصوصيات التي تميز العلوم الإنسانية وتاريخنا الفكري، التي تتمثل في الزعم أن البنيات المعرفية التي يطورها الذهن ينبغي أن تدرس وأن ينظر إليها بشكل مختلف عن البنيات العضوية التي يطورها الجسم.

ولقد قدم شومسكي مجموعة من الأدلة التجريبية التي تدل على أن خصائص اللغة ومبادئها مرتبطة بالبنية الداخلية للغة لا بالتفاعل مع المحيط أو بآليات حسية حركية.

١ الشمري،غسان إبراهيم،الدلالة المعرفية وبعض نماذجها،مجلة البلاغة وتحليل الخطاب،العدد الثاني،المغرب،٢٠١٣،ص١٧.

ثالثًا المقاربة المعرفية التوليدية

يخضع برنامج البحث التوليدي في توجهه المعرفي للفكر العقلاني الذي يجد جذوره الفلسفية في أعمال ديكارت وغيره من الفلاسفة العقلانيين[١] الذين حملوا إرثه بشكل من الأشكال.[٢] وتتميز العقلانية التوليدية بمقاربتها العلمية الطبيعية للمعرفة، وللغة على وجه الخصوص. وحدد تشومسكي الخطوط الرئيسة لنظريته اللغوية منذ بداية أعماله البحثية "حيث كان الهدف الأساسي من هذه الدراسات إبراز حقيقة التوليد اللغوي، وأن هذه الفكرة لم تكن مطروحة في المناهج البنيوية والدراسات التقليدية، وبذلك استطاعت النظرية التوليدية التحويلية أن تعرج بالبحث اللساني من منهج يتوخى معطيات علم النفس السلوكي إلى منهج عقلي همه إزاحة النقاب عن القدرة الكامنة وراء الفعل اللساني، والسعي من أجل تعليله وتفسره بدلًا من وصفه وصفا شكليا"[٣] وبهذا يكون تشومسكي قاد "ثورة علمية نجم عنها نموذج جديد للتفكير في اللغة، أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي،

---

١ نعوم تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل،ص٣٥.

٢ يشير شومسكي (١٩٨٧) في مناقشاته للتقاليد الفكرية أنه لا يقيم فرقا صارما بين العلم والفلسفة، إن هذا الفصل في رأيه، لم يبتدع إلا في الماضي القريب. فأعمال ديكارت، مثلا، لا يمكن الفصل فيها بين ما يسمى "أعمالا فلسفية" وما يسمى "أعمالا علمية"، بل يمكن النظر إلى جزء منها بأنه بحث في الأسس التصورية للعلم وفي حدود المعرفة العلمية ودلالتها.

٣ مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، المجلد٧، العدد ٢- ٢٠١٥،ص٤.

وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي "[١].

لقد مثلت التوليدية التحولية "معارضة واعية للبنيوية السلوكية في مسألة اكتساب اللغة إذ ترفض هذه الأخيرة مذهب السلوكية في إرجاع كل المكتسبات المعرفية، بما في ذلك المعرفة اللغوية، إلى التجربة؛ لأن محدودية تجربة الطفل من حيث الزمان، وكذا المادة المتعرض إليها تجعلها لا ترقى إلى مستوى ما يمتلكه"[٢] .

ولذلك يرفض شومسكي الحديث عن ما يعرف بـ"الأفكار القبلية"، بالمعنى التقليدي، أو ما يعرف بـ"الافتراض الفطري" الذي ينسبه إليه كثير من الباحثين، الذي يعني أن هناك بنية فطرية هي المسؤولة عن اكتساب المعرفة اللغوية[٣] فالقضية الجوهرية بالنسبة للمقاربة التوليدية للمعرفة ليست هي معرفة ما إذا كانت هناك بنية فطرية معينة يشكل وجودها شرطا سابقا للاكتساب، فهذا أمر بديهي، ولكن المشكل الحقيقي هو أن نعرف ما هي هذه البنية وما هي خصائصها.[٤] لذلك، بدل الحديث عما يسمى بـ"الافتراض الفطري"، تفضل التوليدية الحديث عن الحالة الذهنية الأولى

(١) الفاسي الفهري، عبدالقادر، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ج١، ط٣، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب ١٩٩٣.ص٦٥.

٢ شقروشي،عبد السلام، اكتساب اللغة(مقاربة توليدية تحولية،مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأدب،الجزائر،العدد ٢٩،ديسمبر ٢٠١١،ص٦٣.

٣ انظر شومسكي (١٩٧٥: ١٤-١٥).

٤ انظر شومسكي (١٩٧٩)، ص. ٤٤٤-٤٤٥.

المحددة وراثيا لاكتساب اللغة، أي ما يعرف تقنيا بالنحو الكلي[1]. من هذا المنظور، تعد المقاربة التوليدي طبيعية، لأنها تنظر إلى اللغة بوصفها عضوا ذهنيا طبيعيا، يشكل جزءا من النظام العضوي البشري، وبحكم ذلك فإنها تتبنى النهج العلمي المستعمل عادة في العلوم الطبيعية. وتتميز هذه المقاربة المعرفية المؤطرة بالمنظور العلمي الطبيعي، عن المقاربة السلوكية والمقاربة المعرفية البنائية بكونها لا تسند أي بنية خاصة بالمحيط الخارجي. البنية المعرفية ومبادؤها معطى داخلي يحدده النظام العضوي المحدد وراثيا. المعرفة مسقطة من النظام العضوي، الذي يشكل الفكر/الدماغ جزءا منه، وغير مستمدة من التجربة. إن دور التجربة محدود في تشغيل المعرفة المحددة وراثيا. فعدم امتلاك الإنسان أجنحة للطيران يحدده البرنامج الوراثي للنظام العضوي البشري لا التجربة. ويمكن إخضاع الإنسان إلى ما لا نهاية من التجارب ليكتسب القدرة على الطيران لكنه لن يفلح، لذلك عوض ذلك باختراع الطائرات. وكذلك أخضعت كائنات حية أخرى، مثل القردة والدلافين، لتعلم اللغة لكنها لم تستطع امتلاك معرفة لغوية مماثلة لما يملكه الإنسان، وهذا متوقع لأن هذه الكائنات غير مجهزة وراثيا لكي تتكلم مثل الإنسان. فالمشكل إذن عضوي داخلي، لا تجريبي خارجي. ومساهمة التجربة محصورة في أنها تثير (tiggers) البنية الداخلية. فالمعطيات اللغوية التي تقدمها تجربة/عشيرة

١ نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ترجمة يونيل يوسف عزيز، دار .الشؤون الثقافية، بغداد١٩٨٧،ص٢٩.

لغوية معينة لا تحدد البنية الداخلية للغة ولا طريقة اشتغالها، ولكنها ضرورية لتبدأ هذه البنية في العمل.

إن التوجه العقلاني التوليدي لا ينفي التجربة، إذن. فالتجربة لها مكانتها في عملية الاكتساب اللغوي، من جهة أن مبادئ النحو الكلي/الحالة الأولى تنطبق على المعطيات اللغوية الأولى التي تقدمها عشيرة لغوية معينة، كما أنها من الناحية المنهجية تلعب دورا في إعطاء محتوى تجريبي للافتراضات النظرية. إن ما ترفضه التوليدية هو النظر إلى التجربة باعتبارها مصدر المعرفة، أي أن تكون أساسا مذهبيا لقيام المعرفة، كما هو الشأن بالنسبة للمذهب التجريباني. والتجربة التي يعمل عليها التوليدي تجربة مجردة ومحدودة جدا. فرغم أن الواقع اللغوي غير متجانس، فإن اللسانيات التوليدية تفترض واقعا متجانسا بحكم أن النحو الخاص الذي يصل المتكلم إلى بنائه يتمتع بقدر كبير من التجانس. لذلك تفترض هذه اللسانيات أن موضوعها هو المتكلم المستمع المثالي الموجود في عشيرة لغوية متجانسة. وبناء على ذلك، لا تتعامل اللسانيات التوليدية إلا مع المعطيات التي تراها ورادة بالنسبة إليها، أي واردة بالنسبة إلى بنائها النظري وإلى الافتراضات التي توجه هذا البناء، والوقائع اللغوية خارج هذا البناء لا قيمة لها. يقول شومسكي "لا أولي أهمية كبرى لموضوعية المعطيات اللسانية مقارنة بالأهمية الكبرى التي أوليها للعمق التفسيري وللمبادئ."[1] وتنظيم الوقائع اللغوية في حد ذاته غير هام، الهام هو اكتشاف وقائع جديدة "حاسمة لتحديد البنيات الخفية الأكثر

(١) انظر شومكي (١٩٧٧: ١١٨).

عمقا" على نحو مماثل لما يوجد في الفيزياء.[١] إن "رصد «جميع وقائع» العالم الفزيائي لم يكن أبدا هدف الفيزياء بالمعنى الذي يظن به كثير من اللسانيين أن النحو يجب أن يرصد «جميع وقائع» اللغة واستعمالها."[٢]

لا تنكر التوليدية أن للغة أبعادا عديدة، اجتماعية وثقافية وتواصلية وجمالية وأدبية وغيرها، لكن المعطيات التي تقدمها هذه الأبعاد غير واردة بالنسبة للمشكل الذي تحاول تفسيره المتمثل في كيفية اكتساب الطفل اللغة وفي تحديد المبادئ التي تحكم هذا الاكتساب.

وعليه يكون المنهج التوليدي "منهجًا نظريًا تفسريًا يرتكز على الاستنتاج الاستنباطي ويعنى بالعمليات الداخلية التي تسبق الكلام والنزعة الذهنية Mentalismeأو العقليةRationalism أساسه.كما أن اللغة في كنف هذا المنهج عملية إبداعية حيوية. ويفسر الآلية الكامنة في الذهن، والقادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل والاهتمام بالخلق اللغوي اللا متناهي للمتكلم. والانطلاق من الحدس لنحوية الجمل. والبحث عما هو مشترك في كل اللغات الكليات اللغوية من خلال . تفسري العمليات الداخلية كما و يهتم بمظهر اللغة الحركي داخل ذهن المتكلم.و يحاول الإجابة عن السؤال الآتي: كيف يتم إنتاج اللغة وإبراز المعنى؟[٣] .

وتعد فكرة الفطرة اللغوية في ذهن الإنسان نقطة الارتكاز في نظرية تشومسكي، "متخذا من المقابلة بين الإنسان وغيره من الحيوانات ميدانا

١ انظر شومكي (١٩٧٧: ١١٩).
٢ نفسه،ص١١٩.
٣ نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، ص ١٥-١٦.

للتطبيق، فهو يرى أن اللغة ميزة من ميزات الجنس البشري وأن تعلمها لا يرتبط بذكاء الإنسان ومما جعل تشومسكي يزداد تمسكا بهذه الفكرة وتوكيدا لها في نظريته، ما يراه في تدرج الطفل الصغير في الكلام وفي انتقاله إلى تعلم اللغة"[١].يتبين أن موضوع نظرية تشومسكي يرتكز على ثلاثة أمور وهي: تحديد طبيعة المعرفة اللغوية عند الإنسان وطريقة اكتسابها وكيفية استخدامها[٢] .

لقد تحدث (تشومسكي) عن "وجهي الظاهرة اللغوية السطحي والعميق، أو كما سماه الظاهر والخفي وعليه حدد مصطلح الكفاية اللغوية والأداء اللغوي"[٣] وبخصوص التمييز بين الكفاية اللغوية (Competence) وبين الأداء الكلام(Performance): " يسمي تشومسكي القدرة اللغوية على إنتاج الجمل وتفهمها، في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية حيث يشير مصطلح الكفاية اللغوية إلى قدرة المتكلم المستمع المثالي على أن يجمع بين الأصوات اللغوية وبين المعاني، في تناسق وثيق مع قواعد لغته "[٤]. في حين يكون الأداء الكلامي هو " الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة، بصورة طبيعية، إلى القواعد الكامنة ضمن

١ الربع،بوجلال، التوليدية لتحويلية مرحلة التأسيس، مجلة المقري للدراسات اللغوية، المجلد١، العدد٣، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ١٠١٩، ص٢٩٠.

٢ العبيدي، منيرة، الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد٧،العدد٨،جامعة الوادي الجزائر، ديسمبر٢٠١٥ص٩٥.

٣ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي،ص١٠٠.

٤ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص ٣٢.

كفايته اللغوية "[1]. فالأداء اللغوي" يمثل ظاهرة الخطاب في النظرية التوليدية، والكفاية اللغوية تمثل حقيقة الخطاب، وعلى اللغوي . كما يقول (تشومسكي)- أن لا يبني أحكامه على بنية اللغة السطحية، وإنما عليه أن يصل إلى البنية التحتية العميقة، ليطلع على القواعد الذهنية التي تنتظم اللغة "[2]. وفي هذا الصدد، يعتبر تشومسكي البنية العميقة deep (structure) " الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي، يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدًا له، وهي (النواة) التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي " [3]. كما يعتبر البنية السطحية (surface structure) " تلك التي يتم تجسيدها بكلمات متتابعة منطوقة متآلفة معبرة عن العلاقة بين الكلمات، وهي عبارة عن مجملة جهة الوصف التي تحدد الصبغة الصوتية للجملة " [4].

ويمكن لنا التأكيد على أن نظرية اكتساب اللغة التوليدية واشكالتها الفلسفية والمنهجية قبل ظهور اللسانيات التوليدية كانت دراسة اللغة في الجامعات الأمريكية موكولة إلى الأقسام المهتمة بالثقافة، وكان مجال علم النفس خاضعا للأنموذج السلوكي. ومساهمة اللسانيات التوليدية فيما يعرف بـ"الثورة المعرفية"،

---

١ نفسه، ص ٣٣.

٢ عبد الجليل، منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ٢٠٠١، التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،ص١٠١

(٣) قراءة في النظرية التوليدية التحليلية، ص١٩،وكذلك بنظر أبو عاصي،حمدان،التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية،المجلد ٤،العدد٣،اكتوبر ٢٠٠٧،ص١٣٤..

٤ نفسه، ص٢٠.

التي عرفتها الخمسينيات من القرن الماضي، تكمن في الربط التصوري بين اللسانيات وعلم النفس، أي بين نظرية اللغة ونظرية اكتساب اللغة أو استعمالها. فلا معنى لهذا التمييز، لأنه لا يمكن لأي حقل معرفي أن يهتم باكتساب أو استعمال المعرفة دون أن يهتم بطبيعة هذه المعرفة. لقد أصبح علم النفس في التصور التوليدي علما يهتم بالمعارف الذهنية الداخلية المحددة وراثيا، وبما أن اللغة تعد معرفة ذهنية فطرية، فقد أصبحت دراستها (أي اللسانيات) جزءا من علم النفس[1].

لم يهتم علم النفس، سواء السلوكي أو البنائي، بدراسة بنية اللغة ومبادئها الداخلية. فقد ربطها الأول، كما رأينا، بالآلية العامة، مثير–استجابة المحددة لأي سلوك (/معرفة)، ويتم التعلم ضمن هذه الآلية عن طريق التكرار والتعزيز؛ وقد ربطها الثاني بإجراءات النمو الحسي–الحركي العام. ويتفق التصوران النفسيان معا في عدم تحديد بنية لغوية خاصة مسؤولة عن الاكتساب، كما يشترك التصوران معا في الفراغ التجريبي لمقاربتهما. فلا سكينر ولا بياجي استدلا تجريبيا على كيفية اشتقاق قواعد اللغة من التكرار أو من النسق الحسي الحركي المرتبط بالمحيط الخارجي. فهل فعلا يرتبط اكتساب اللغة بالتكرار أو بالقياس أن عملية اكتساب اللغة تنبني على مبادئ مجردة وكلية موجودة في ذهن المتكلم ومستقلة عن التجربة والقياس

١ الشمري،غسان إبراهيم، بعض أسس تصور المعنى بين المتقدمين والنظرية الدلالية الحديثة،مجلة جامعة طيبة :للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٢١، السنة التاسعة، ٢٠٢٠، ص٢٩٢-٢٩٤.

والاستعمال. وتشترك اللغات الطبيعية في امتلاكها لهذه المبادئ والخصائص البنيوية الكلية ناتجة عن الدماغ، العضو الطبيعي الموحد عند البشر.

وعلى ذلك يمكن متابعة الأساس الفلسفي للنظرية المعرفية التوليدية لاكتساب، وفهم طبيعة ومكونات المعرفة اللغوية والآليات المسؤولة عن اكتسابها.من خلال رصد ما استندت عليه من فرضية التمثيل الذهني الداخلي للنحو. فعندما يصل المتكلم الفطري إلى التعبير بلغته نقول إنه يعرفها ويعرف نحوها، بدليل أنه لا يلحن في هذه اللغة/النحو. بمعنى من يملك اللغة يملك النحو، أي يعرف كيف يؤلف الكلمات مع بعضها البعض لتكوين العبارات، ويعرف كيف يؤول (يسند المعنى) العبارات في لغته. غير أن هذه المعرفة النحوية تضل ضمنية/لاشعورية، مما يعني أن المتكلم الفطري لا يعي السيرورات المتضمنة في كلامه وفي فهمه للغته.

رابعًا : بعض الاقتراحات والنتائج التعليمية على وجه الخصوص

لقد رأينا أن نظرية التعلم واكتساب اللغة في المنظور المعرفي التوليدي تنطلق من أن الذهن البشري مزود بالملكات العقلية الضرورية التي تمكنه من اكتساب المعرفة. ويتبنى المنظور التوليدي في هذا التوجه التصور الديكارتي القائم على أن القدرة على التفكير شرط الوجود الإنساني وإذا أردنا أن نطبق هذا المنظور في المجال التعليمي، فعلى العملية التعليمية أن :

– تنبني على منهجية تدريس قوامها التركيز على تغذية وتنمية القدرات الفكرية الموجودة سلفا لدى الطفل لتحصيل المعارف، وذلك بإثارة الفضول والرغبة الذاتية في المعرفة والفهم.

وبشكل عام، فإن الأشياء التي يصل الطفل إلى اكتشافها بنفسه وإدراكها بمجهوده الفكري الخاص، يفهمها جيدا وتبقى عالقة بذهنه.

– فمنهجية التعليم والتعلم ينبغي أن تقوم، بالنسبة للمعلم، على الإنصات إلى الطفل والمساعدة على إبراز القدرات الذهنية الكامنة لديه وعلى تنمية الطاقة الإبداعية العادية التي في حوزته؛ وأن تقوم بالنسبة للمتعلم على الاستكشاف لا على الحفظ وتخزين المعلومات.

النظام التربوي في هذه المقاربة نظام مفتوح قائم على المعرفة ومتطور باستمرار، ووظيفته الأساسية بناء شخصية مفكرة ومستقلة ومبدعة وفعالة.

- إن منهجية التعليم القائمة على تطوير سلوك الحفظ واسترجاع المعلومات تجعلنا نسقط في المقاربة السلوكية التي تنظر إلى الطفل بوصفه مادة أولية خام مطواعة يمكن تشكيلها حسب رغباتنا.

- لقد بينا نظريا وتجريبيا عدم صحة هذه المقاربة التجريبانية للمعرفة.

- أن ما يعرفه الطفل هو ما يحدده نظامه الوراثي الإحيائي الداخلي وليس السلوك التجريبي الخارجي.

- المقاربة السلوكية تجعل دور الطفل في العملية التعليمية سلبيا وتوجه العملية التعليمية برمتها نحو تطوير أساليب المراقبة والتلقين والتحكم في السلوك، وتحصر دور المعلم في السهر على تحقيق ذلك بدل تنشيط وإثارة الطاقات الفكرية الباطنية لدى الطفل.

- الطفل في هذا المنظور السلوكي إناء فارغ ينبغي ملؤه، إنه خزان للمعلومات ومهمة الطفل تكمن في استرجاع المعلومات وتذكرها، والمعلم هو مصدر المعرفة والساهر على تلقينها والحارس على استذكارها. المدرسة في هذا التصور مبنية على أن الطفل لا يعرف، وبذلك فهي نظام مغلق يعيد إنتاج ما سبق تلقينه، إنها بعبارة أخرى نظام قائم على الجهل.

- وهنا تتجلى بعض مظاهر المقاربة السلوكية في المدارس الأردنية في منهجية تعليم اللغة العربية التي تركز منذ السنوات الأولى للتعليم على تلقين قواعد النحو. وتبين النتائج الملموسة أن هذه المنهجية غير سليمة. فمتعلم العربية يأخذ قواعد النحو من الابتدائي إلى غاية التعليم العالي، ومع ذلك لا

يصل إلى التمكن من اللغة العربية في كتابته وتعبيره. أحد الأسباب الجوهرية وراء هذا الوضع نهج أسلوب التخزين وحفظ القواعد.

- كما يمكن التأكيد نظريا وتجريبيا أن الطفل يملك القواعد، وعلى المعلم أن يتبع أسلوب استكشافها بالتركيز على إكسابها للطفل بشكل غير مباشر من خلال القراء المكثفة والمختارة للنصوص العربية ومن خلال تعويد الطفل على التعبير بالعربية منذ المراحل المبكرة للتعليم (التعليم قبل المدرسي)، على أن يتم تأخير تلقين القواعد بشكل مباشر إلى المرحلة التي يظهر فيها أن الطفل تمكن من العربية قراءة وفهما وتعبيرا.

الخاتمة

لقد دافعنا في هذا البحث عن التصور المعرفي العقلاني للمعرفة بشكل عام، وللمعرفة اللغوية بشكل خاص. وفي هذا الإطار، بينا أن التصور السلوكي والتصور المعرفي البنائي يفشلان معا في البرهنة على أن للتجربة دورا حاسما أو كبيرا في تشكيل الموروث الأحيائي للطفل. وقدمنا كذلك مجموعة من البراهين اللغوية التجريبية التي تدل على أن ما يتحكم في اكتساب اللغة هو الخطاطات والقواعد الذهنية المجردة وليس العمليات التجريبية القائمة على التكرار أو القياس أو على نسق حسي حركي معين. وقد تتبعنا بالدرس والتحليل أهم التطورات التي عرفتها نظرية اكتساب اللغة في اللسانيات التوليدية

وقدمنا في الأخير بعض الاقتراحات والنتائج التطبيقية التي يمكن استخلاصها من المقاربة المعرفية التوليدية لاكتساب المعرفة، في مجال التعليم وتعلم اللغة على وجه الخصوص. وقد كانت الغاية أن نوضح أن اللسانيات التوليدية التي ينظر إليها على أنها علم نظري، لها انعكاسات تطبيقية، ويمكن الاستفادة من نتائجها في بيداغوجيا تدريس اللغات. وهو طريق واعد بالنظر إلى صلابة المقدمات النظرية التي يقوم عليها.

المراجـــع

- الأعرجي، علي عباس،(٢٠١٧)،ذاتية اللغة بين سكينر وتشومسكي، مجلة آفاق علمية؛ المركز الجامعي لتامنغست ، الجزائر، أبريل العدد الثالث عشر.
-ا لأمين محمد محمود،(٢٠١٤)،مفهوم اللغة بين سوسير وتشومسكي،بحث مقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية تحت عنوان " الاستثمار في اللغة العربية ومستقبلها الوطني والعربي والدولي "دبي ٧-١٠ مايو
- البستنجي، ياسر محمد،(٢٠١٩)، قراءة في النظرية التوليدية التحليلية، مجلة دراسات لسانية، جامعة البليدة-الجزائر، مجلد ٣ العدد٢، يونيو٢.
- دونويل غوتيي، مجلة بيت الحكمة، العدد ٢، يوليو (١٩٨٦)، والنص مترجم عن كتاب *Mes idées*، ، باريس ١٩٧٧.
- الربع، بوجلال،(٢٠١٩)، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، التوليدية والتحويلية مرحلة التأسيس، مجلة المقري للدراسات اللغوية، المجلد١، العدد٣، المسيلة، الجزائر.
- سبوكار،أحمد وهمة المحمودة،(٢٠١٦)، النظرية السلوكية في تعليم اللغة، (دراسة وصف وتحليل السلوكلية في الطريقة المباشرة في تعليم اللغة)،Jurnal *Lisanudhad* جامعة دار السلام كونتور فونوروكو - إندونيسيا،المجلد ٣،العدد٢.
- شقروشي،عبد السلام،(٢٠١١)، اكتساب اللغة(مقاربة توليدية تحولية،مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأدب،الجزائر،العدد ٢٩،ديسمبر

- الشمري،غسان إبراهيم،(٢٠٢٠)، بعض أسس تصور المعنى بين المتقدمين والنظرية الدلالية الحديثة،مجلة جامعة طيبة :للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السابعة، العدد ٢١، السنة التاسعة،السعودية.
- الشمري غسان إبراهيم،(٢٠١٩)،الدلالة المعرفية وبعض نماذجها،مجلة البلاغة وتحليل الخطاب،العدد٢، المغرب.
-الصدوقي،محمد،(٢٠٠٦)،المفيد في التربية، ط٢،مطبعة انفو برانت،فاس-المغرب.
- أبو عاصي،حمدان،(٢٠٠٧)،التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن،مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية،المجلد ٤،العدد٣
- عبد الجليل، منقور،(٢٠٠١)، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق .
- عبد السلام،خالد،(٢٠١٧)،اكتساب اللغة لدى الطفل ما قبل المدرسة،دار التنوير،ط١،الجزائر.
-العبيدي،منيرة،(٢٠١٥)،الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد٧،العدد٨،جامعة الوادي الجزائر، ديسمبر.
- العبيدي، منيرة،(٢٠١٥)، الجذور الفلسفية للنظرية التوليدية التحويلية، مجلة علوم اللغة وآدابها، المجلد٧،العدد٨،جامعة الوادي الجزائر، ديسمبر.
- العتابي،أحمد كاظم،رؤية في المنهج التحويلي،مجلة كلية التربية،جامعة أسيوط، مصر،المجلد١،العدد٦، ٢٠٠٩.
- الفاسي الفهري، عبدالقادر،(١٩٩٣)، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، ج١، ط٣، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء-المغرب .

-مختار درقاوي،(٢٠١٥)، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، الجزائر، المجلد٧، العدد ٢.

- مصطفى،ناصيف،(١٩٨٣)،نظريات التعلم،دراسة مقارنة، في هذا سلسلة عالم المعرفة، عدد ٧٠،اكتوبر .

– ميشال زكريا،(١٩٨٦)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، ط٢ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

-نعوم تشومسكي،(٢٠٠٩)، آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، ترجمة عدنان، حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع السورية.

-نعوم تشومسكي،(١٩٨٧)، البنى النحوية، ترجمة يونيل يوسف عزيز، دار .الشؤون الثقافية، بغداد.

-نعوم تشومسكي،((١٩٨٥)، جوانب من نظرية النحو، ترجمة، د .مرتضى جواد . مديرية مطبعة الجامعة، جامعة الموصل،العراق.

- هاشم، رافد قاسم،(٢٠١٨)، بياجية والارتقاء المعرفي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية، جامعة بابل،العدد ٣٨،نيسان .

المراجع الأجنبية

- Chomsky، N. (١٩٥٧), *Syntactic structures*, The Hague: Mouton. PARIS ,First printing.

- Chomsky، N. (١٩٨٨), Language and Problems of Knowledge: The
Managua Lectures.

- Chomsky, N., (١٩٧٧). "Conditions on Rules of Grammar," in Essays on Form and Interpretation. Amsterdam: Elsevier North-Holland.

-Chomsky Noam,(١٩٧٥) Current Issues in Linguistic, (The Hague- Paris: Mouton,٦th printing.

- Chomsky, N., (١٩٨٧). The Chomsky Reader. New York: Pantheon Books.

- *Piaget, J.* (١٩٧٩) Relations between psychology and other sciences *Annual Review of Psychology*, ٣٠, ١–٨. *Piaget, J.*

- Piaget, J. Biology and knowledge. Chicago: University of Chicago Press, ١٩٧١. (French edition published in ١٩٦٧.)

- Skinner, B. F. (١٩٥٧) *Verbal Behavior*. Cambridge, MA: B. F. Skinner Foundation

المواقع الالكترونية

https://archive.org/details/AlBonaAlNahoyah/page/n٩/mode/٢up

- https://www.researchgate.net/publication/٣٢٨٧١٨٦٥٩

- https://www.alukah.net/web/hanafijawad

- https://doi.org/١٠.١١٤٦/annurev.ps.٣٠.٠٢٠١٧٩.٠٠٠٢٤٥